صوت الأزهر

جامعاً وجامعة

رئيس التحرير
سليمان قناوى

١٤ صفحة | ١ جنيه

www.Alazhar.gov.eg

الجمعة ٧ من جمادى الأولى ١٤٣٣هـ - ٣٠ من مارس ٢٠١٢ م

نحو التأسيس لأول كلية للفنون الإسلامية

بقلم :
د. خالد محمود هيبة

حسم علماء الأزهر منذ زمن بعيد قضية الإسلام وموقفه من الفنون الجميلة؛ فكل ما يهذب النفس الإنسانية ويزكيها هو جوهر عقيدة الإسلام، وإلا ما كان هذا الكم الهائل من نفائس وروائع الفنون الإسلامية التى تركت لنا ميراثاً عبر أزمنة وعصور ودويلات الإسلام مع تواتر سنين الزمان.

وفى هذا يقول العلامة الدكتور محمد عمارة فى مقال نشر له فى العام الماضى بجريدة "الأهرام" بعنوان "الإسلام والفنون": "الفنون هى المهارات التى يبدعها الإنسان، ويتوسل بها إلى التجديد والترقيق والتنمية للملكات والطاقات الإنسانية، لتصبح الحياة أكثر جمالاً عندما تنفتح قنوات الاتصال بين النفس الإنسانية وبين آيات الجمال التى خلقها الله وبثها فى هذا الوجود، وهذه الوظيفة للفنون لايمكن أن تتحقق إلا إذا كانت هذه الفنون ذات رسالة أخلاقية، فهنا تكون الفنون جميلة حقاً، لأن الجمال- الذى هو صفة من صفات الله- سبحانه وتعالى- لا يمكن أن يقترن بالفن إلا إذا كانت لهذا الفن رسالة إيجابية فى عالم القيم والأخلاق".

ولما كان الغرب قد استوعب خلال العصور الوسطى وعصور النهضة فنون الإسلام ومنجزاته فى ذلك المجال وتشبع بها، وبخاصة فى مجال الفنون التطبيقية، والتى كان لها أكبر الأثر فى فنون أوروبا خلال تلك الفترات التاريخية وحتى الآن فى مجالات التصوير والخزف والنسيج والزجاج والحجر والجص والعاج والأعمال الخشبية والمعدنية، وعلى رأس ذلك كله فنون العمارة والبناء والتشييد، والتى أبدع فيها الفنان والمعمارى المسلم على مدار الأزمنة الإسلامية وبامتداد العالم الإسلامى؛ فقد ثمن المعاصرون من أبناء تلك الحضارة الغربية هذه المنجزات الفنية الإسلامية الرائعة على تنوعها؛ لتنتشر فى أوروبا وأمريكا المدارس والمعاهد والأكاديميات العلمية التى تهتم برعاية تلك الفنون الإسلامية ودعمها، ولعل أحدث تلك المدارس والمعاهد المتخصصة فى مجال رعاية ودعم الفنون التقليدية عامة والإسلامية منها بصفة خاصة "مدرسة الأمير تشارلز للفنون التقليدية بلندن «The Prince's School of Traditional Arts» والتابعة لمؤسسة الأمير تشارلز العلمية، والتى تم افتتاحها عام ٢٠٠٥م، ليبرهن ذلك الاهتمام من ولى عهد بريطانيا على مدى ماتمثله تلك الفنون من قيمة لدى تلك المجتمعات الغربية المعاصرة.

وإذا كان هذا هو حال فنوننا الإسلامية ووقعها فى الغرب، فكيف للأمة التى أبدعت تلك الفنون العظيمة الراقية عبر تاريخها الممتد والتى أصبحت مثاراً لاهتمام العالم أن تنكرها!، ولا تعمل على رقيها وتطويرها شأنها فى ذلك شأن باقى مجالات ونواحى معارف الحياة من علوم وآداب وغيرها، والتى لابد من العمل كذلك على رقيها وتطويرها.

فإذا كانت تلك الفنون الإسلامية الراقية قد أُنجزت فى حواضر بلاد الإسلام فى مصر وإيران وتركيا والهند والأندلس وغيرها، حينما أبدعت أنامل الفنان المسلم ذلك المنتج المتميز فى مجالات الخزف والزجاج والنسيج والسجاد وغيرها، حيث تنوعت تلك المنتجات لتنسب إلى تلك البلدان وهذه الحواضر الإسلامية؛ فالأحرى بنا أن تتبع الدعوة لإحياء تلك الفنون من جديد من منارة الإسلام وعرينه ممثلاً فى الأزهر الشريف وجامعته، ليصبح له السبق فى تشييد أول وأكبر أكاديمية للفنون الإسلامية فى بلاد الإسلام، ليكون لتلك الأكاديمية الأزهرية الريادة فى الدفع فى اتجاه الحفاظ على ذلك الموروث العريض من المنتج الفنى الإسلامى المميز على تنوعه، كما يكون لها الفضل كذلك فى الدفع نحو تطويره وتطويعه كمنتج حضارى معاصر يتلاءم ويتوافق مع العصر الحديث ومعطياته وتقنياته.

ولعله من الضرورة بمكان- وحتى لا يزايد المزايدون فى ذلك- أن نشير هنا إلى أن الهدف من هذه الدعوة الرعوية لتلك الفنون الإسلامية؛ إنما هى دعوة لرعاية ودعم الفن الراقى الهادف، الذى ينفذ طبقاً للضوابط الشرعية، بعيداً عن الفن المبتذل والهابط الذى تجمع الأمة على لفظه. بل ولا يجب أن يطلق عليه مسمى (فن) بأى حال من الأحوال.

فإذا كان الفنان المسلم قد استوعب فنون الحضارات الأخرى التى فتحها المسلمون الأوائل- وبخاصة فى مصر والعراق وإيران- ليدرسها ويستوعبها ويطورها، وليجد لنفسه مجالاً لإبداع جديد اختص بالمنتسبين لعقيدة التوحيد وبما يتوافق معها، ليبدع فى تطوير الوحدات الهندسية وتكرارها، والزخارف النباتية والخطية على تنوعها؛ ليدرأ عن نفسه شبهة التورط فى تجسيد الرسومات الإنسانية- كما هو الحال فى فن الأيقونات المسيحى- وذلك فى مرحلة مبكرة من عمر دولة الإسلام المديد، فإن الأزهر الشريف كمؤسسة إسلامية عالمية جامعة تحمل منذ ما يزيد على ألف عام لواء الوسطية والسماحة فى الإسلام، لجدير بأن يرعى تلك الفنون الإسلامية الراقية بما يحفظها ويصونها ويعمل على ترقيتها وتطويرها، فى الوقت ذاته الذى يضمن فيه بكل ثقة، أنه أبداً لا يحل حراماً ولا يسوق لأى بدعة تخالف تعاليم الشريعة الغراء.

فلتكن البداية فى ذلك هى الدعوة لتأسيس أول كلية للفنون الإسلامية بجامعتنا العريقة- جامعة الأزهر- وبخاصة ونحن فى الجامعة نمتلك قسماً لفنون العمارة يتبع كلية الهندسة، ويصلح بكوادره ومنتسبيه لأن يكون نواة جامعة لتلك الكلية الناهضة بعد أن ينفصل عن كلية الهندسة- كما هو الحال فى الكثير من كليات الفنون والتصميم فى مصر وخارجها- مؤسساً لتلك الكلية المأمولة- كلية الفنون الإسلامية- حيث إن العمارة هى (أم الفنون)، ومنها يمكن أن تتشعب وتتفرع وتؤسس الأقسام الفنية الأخرى سواء فيما يختص بالعمارة الداخلية- الديكور، أو التصميم الجرافيكى- فنون التصميم والإخراج باستخدام الحاسب الآلى، أو التصميم الصناعى بشعبه من نسيج وخزف وتشغيل وتشكيل المعادن والأخشاب وتصميم الأزياء وغيرها من أقسام فنية، لتصبح تلك الكلية مستقبلاً نواة لأكاديمية فنية إسلامية، لايقدر ولايقوى على حمل تبعاتها إلا الأزهر الشريف الذى حمل لواء الإسلام طيلة الأزمنة الماضية، والأن حان عليه الدور كذلك ليحمل لواء رعاية ودعم فنون أمة الإسلام وتطويرها على تنوعها وتعددها، والعمل على صونها وتطويرها لما فيه صالح ورقى هذه الأمة وخيرها.